ربيع بابل

. سـامي مـهـدي* .

أمنْ باطنِ الأرضِ، أمْ من أعالي السماءْ
أتى خلسةً؟
نحنُ لم نرَه حينَ جاءْ
ولكننا ـ إذْ رأينا الشتاءْ
يُجفِّفُ أثوابَه عندَ أبوابنا، والغيومْ
تُلملمُ أذيالَها، والنجومْ
تُغامزُنا، والقمرْ
يُحوِّم حولَ شبابيكنا، والشَّجرْ
يلوِّحُ للشمسِ عندَ الصباحْ
ويَنْفضُ عن كتفيهِ الندى، والرياحْ
تمازحُه، والزهَرْ
يُنضِّدُ عِقدَ يواقيتِهِ في وَنًى واصطبارْ
ويرنو إلى العشبِ إذ يستحمُّ بضوءِ النهارْ ـ
ضحكنا، وقلنا:
إذنْ جاءنا خلسةً، مثلما غابَ عنّا وراحْ.

❖ ❖

ولا ضيرَ، نحنُ على عهدِنا معه كلَّ عامْ
نتابعُ أخبارَه كلَّما غابَ عنّا،
ونرقبُ زورتَهُ،
ونُزيِّنُ كلَّ طريقٍ ومبنى
لمقدمِهِ، منذُ أن عاد تمّوزُ
من جوفِ دنيا الظلامْ،
ونَزْحمُ أبوابَ بابلَ بالمنشدينْ،
وبالسَّعفِ الغضِّ نبني عرائشَ للوافدينْ،
ونأتي إليهِ بما عندنا من نذورْ،
ومن ماءِ وردٍ ورزٍّ، نرشّهما فوقَ موكبِهِ إذ يدورْ،
على كلِّ حقلٍ بذرناهُ من خيرِ ما عندنا من بذورْ،
وتأتي العذارى ليختارَ أجملَهنَّ عروسًا له،
ويقيمَ على أرضِنا زمنًا،
ثمَّ يختمَ زورتَه بالرضا والسلامْ

❖ ❖

وقد مرَّ عامٌ وعامٌ وعامْ
ولم نرَهُ،
قيلَ: مرَّ ولم يستطبْ أنْ يُطيلَ المقامْ
في منازلِنا، فالطيورْ
تَركتْ للصواريخِ أعشاشَها، والزهورْ
خَنَقتْها لفائفُ أكمامِها، والبذورْ
أكلَ الدودُ لُبَّتَها، والحقولْ
حَرثتْ أرضَها السُّرُفاتْ،
والمراعي غدتْ منبتًا للشظايا،
وأحرقتِ الطائراتْ
ما تبقى على الأرضِ من شجرٍ و فسيلْ،

* ـ شاعر من العراق

ولم تلدِ الأمهاتْ
سوى أرجلٍ وذيولْ،
وقد راعَهُ ما رأى في السماءِ وفي الأرضِ من نَكَباتْ
ففرَّ وفي ظنِّه أنَّ عشتارَ ماتتْ وتمّوزَ ماتْ
ونحنُ دخلنا معًا، كالضفادعِ، في دورةٍ من سباتْ .

❖ ❖

ولكنّنا قد بقينا على عهدِنا معه ثابتينْ
نكدُّ على أرضِنا مثلَ كلِّ السنينْ
ونهفو إليهِ،
ومن شَغَفِ الانتظارْ
نقيمُ مراصدَنا بينَ حقلٍ وحقلٍ
ونوقدُ في الليلِ نارًا ونارْ
ونَرفعُ أعلامَنا فوقَ كلِّ جدارْ
ليَعْلمَ أنّا هنا لم نزلْ واقفينْ
وإيّاهُ منتظرينْ،
فإنْ جاءَ جاءْ،
وإنْ لم يجئْ فسنأتي بهِ راكبينْ
غيومًا مطهَّمةً، أو روابيَ زاحفةً،
أو تنانينَ طائرةً،
أو شياطينَ . .
نأتي بهِ، راضيًا مُكرَهًا، لا كآبائنا الأوّلينْ.

❖ ❖

ولكنهُ جاءَ،
هذي تباشيرُ من عندِهِ،
نحن نعرفُها منذ سبعةِ آلافِ عام،
ويعرفها في الحقولِ الترابُ،
وما شبَّ فيهِ، ودبَّ عليهِ،
وما هبَّ من رقدةٍ واستقام.
فإنْ ظلَّ يقلقُه ما رآهْ،
وإنْ هو غادرَنا قبل ميقاتهِ ومضى في الفلاهْ،
وإنْ هو تاهْ،
فسنأتي بهِ مرَّةً بعدَ مرَّه
ونقتادُهُ كالصغارِ إلى بذرةٍ بعدَ بذرَه
ولنَ ندعَ الزرعَ والضرعَ إلاّ وقد أُفعما بدماء الحياهْ
ودبَّ الرواءُ إلى كلِّ صخره
وسالَ إلى كلِّ حفره
وأحيا رميمَ العظام،
وعندئذٍ سوفَ نختمُ زورتَهُ بالرضا والسلام
وأيامنا بالمسرَّه،
ليبدأ رحلتَه من جديدٍ
كما اعتادَ في كلِّ عام.

بغداد